الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية
International Islamic Charity Organization

خلاصات معرفية 08

المركز العالمي لدراسات العمل الخيري
Global Center for Philanthropy Studies

تحديات العمل الخيري الإسلامي في أفريقيا

رؤية إستراتيجية

اسم البحث:	تحديات العمل الخيري الإسلامي في أفريقيا ـ رؤية إستراتيجية
الباحث:	حمدي عبد الرحمن حسن
لغة البحث:	العربية
عدد الصفحات:	34
الناشر:	مجلة مداد لدراسات العمل الخيري ـ المجلد (1)، العدد (1) (30 يونيو / حزيران 2010)
الناشر:	المركز الدولي للأبحاث والدراسات (مداد)
تاريخ النشر:	31-12-2010

01 مقدمة:

قيم العمل الخيري والطوعي متأصلة في الفكر الإسلامي بشكل واضح، وفلسفة العمل الخيري الإسلامي تقوم على أساس من التطوع، وترتبط ارتباطًا وثيقًا بتحقيق قيم المجتمع الفاضلة في إطار من التراحم والتكافل الاجتماعي، ولكن التجربة على أرض الواقع تواجَه بالعديد من التحديات والعوائق، ولا سيما فيما يتعلق بالحالة الأفريقية؛ مما يؤثر على تلك الفلسفة وذلك الأصل، كما يؤثر على كفاءة ونجاح العمل الخيري الإسلامي في تلك القارة؛ خصوصًا مع ما تشهده الدول الأفريقية من ضعفٍ سبَّبته عوامل داخلية؛ مثل: عدم الاستقرار السياسي، وانتشار النزاعات والحروب الأهلية والعرقية، وشيوع الفساد، وسوء الإدارة، وغير ذلك، وعوامل خارجية تقف أمام العمل الطوعي بشكل عام، والإسلامي بشكل خاص، ومنها ما هو متوجِّه للقارة الأفريقية من تكالب لنهب مواردها وثرواتها.

وبالنظر إلى المؤسسات الخيرية الإسلامية؛ فإننا نراها تنخرط بشكل مباشر وكبير في تقديم العون بمختلف مجالاته في تلك القارة، كما تنخرط بشكل مباشر وغير مباشر في مهام الدعوة الإسلامية، وتسهم في دفع حركة التقدم الإسلامي، والمحافظة على هوية وعقيدة المجتمعات المسلمة، حتى أضحى العمل الطوعي الإسلامي جزءًا لا يتجزأ من منظومة العمل الأهلي العالمي، رغم ما يواجه من تحديات بشكل عام، وتحديات بشكل خاص في تلك القارة، ومع ذلك فإن هناك عوامل ثالثة تؤثر على ضعف الحالة الأفريقية، وترتبط بمؤسسات العمل الخيري نفسها؛ مثل: عدم اهتمامها أو عدم قدرتها على تحقيق الشراكة مع الدول المتلقية للعون، وغياب أو ضعف التنسيق فيما بينها، بالإضافة إلى ضعفٍ في الرؤية أو الإستراتيجيات أو القدرات والمهارات اللازمة.

وعليه؛ يلقي هذا البحث الضوء على طبيعة العمل الخيري الإسلامي في أفريقيا، ويحدد أبرز معوقاته وما يواجهه من تحديات، ومن ثم يحاول تحديد أهم الأولويات والتوجهات له هناك.

02 منهجية البحث:

سلك الباحث منهج الوصف والتحليل، مستعرضًا بعض الإشكاليات والموضوعات ذات الصلة، موردًا بعض النماذج المعززة لما ذكره من توصيف وتحليل، خاتمًا لبحثه بالتوصيات والمقترحات التي يراها مهمة لحفظ العمل الإسلامي الخيري والدعوي واستدامته وقوته في القارة الأفريقية.

03 أبرز ما ورد في البحث:

أولًا: طبيعة وتطور العمل الخيري الإسلامي في أفريقيا:

المرحلة الأولى:

وتتمثل في معظم سنوات الستينيات وبعض السبعينيات من القرن الماضي، حيث شهدت تحول المنظمات المجتمعية والحضرية إلى هيئات طوعية وخيرية محلية ذات طابع حديث، ولم تتسامح عديد من الدول الأفريقية مع تلك المنظمات؛ لأنها رأت هذا المجال فضاءً خاصًا بها دون سواها، ولذلك استهدفتها ـ وخصوصًا ذات الطابع الإسلامي منها ـ حيث خشيت على نفسها من المتغير الإسلامي الذي قد يفضي ـ من وجهة نظرها ـ إلى عدم استقرار الدول الوليدة (المستقلة حديثًا)، بل واجهت بعض الدول الأفريقية العمل الطوعي والخيري الإسلامي بيد من حديد، واتهمته بتهديد الأمن القومي، وتعرّض بعض قياداته للتخوين والمضايقة.

المرحلة الثانية:

وتشمل نهاية السبعينيات وسنوات الثمانينيات من القرن الماضي، حيث شهدت انتشارًا وتوسعًا سريعًا، وربما يُعزى ذلك إلى تأثير حركة المجتمع المدني والأهلي العالمية، إضافة إلى فعل الأزمات والكوارث التي شهدتها القارة، حتى وصفت الأمم المتحدة أزمة أفريقيا المستعصية خلال عقد الثمانينيات بأنها «عقد التنمية المفقود».

وقد اتسمت هذه المرحلة بعدد من الخصائص؛ أبرزها:

1. زيادة ملحوظة في أنشطة الجمعيات الأهلية الأجنبية، لا سيما في مجالات الإغاثة والعون في المناطق المنكوبة.
2. ميل كثير من الدول الأفريقية إلى قبول أنشطة العمل الإغاثي والخيري الأجنبي، بما فيها المؤسسات الخيرية الإسلامية.
3. بَدء الحوار العربي الأفريقي، وبتأثير الثروة النفطية العربية تم توجيه العمل الخيري الإسلامي إلى القارة الأفريقية.

المرحلة الثالثة:

بدأت أواخر الثمانينيات وامتدت لآخر التسعينيات من القرن الماضي، واتسمت بظهور فضاء أهلي مستقل عن الدولة، وكذا انتشار مؤسسات أهلية وخيرية على عدد من المستويات، والدخول في حوار داخلي بينها وبين أقرانها خارج أفريقيا، كما اتسمت بتحولات سياسية كبرى في الواقع الأفريقي؛ حتى وُصفت بأنها تمثل «القدوم الثاني» لأفريقيا في المجال الدولي؛ نظرًا لانهيار الدول الأوتوقراطية والعسكرية، وتحقيق قدر معقول من الانفتاح السياسي؛ مما انعكس إيجابًا على نمو الفضاء غير الحكومي بشقيه: العلماني والديني.

المرحلة الرابعة:

بدأت مع الألفية الجديدة، واتسم فيها العمل الخيري الطوعي بالمؤسسية والمنهجية في الأداء، وقد شهدت المرحلة حدوث شراكة بين المنظمات العاملة في القطاع الأهلي بأنواعها، وعلى المستويين: الداخلي والخارجي، وتزايد الوعي المجتمعي بأهمية دور تلك المؤسسات.

خصائص العمل الخيري الإنساني في أفريقيا:

هناك قواسم عامة وخصائص مشتركة تجمع بين مؤسسات العمل الخيري الإسلامي في أفريقيا؛ لعل أبرزها:

- الاستناد إلى التقاليد الإسلامية.
- التركيز على مجال رعاية الأيتام.
- مساعدة اللاجئين والمشردين.
- بناء المدارس والخدمات التعليمية.

ثانيًا: تحديات العمل الخيري الإسلامي في أفريقيا:

يواجه العمل الخيري الإسلامي في القارة الأفريقية العديد من التحديات والمعوقات؛ أبرزها:

1. **أزمة التنمية المستعصية:**

تم تطوير أهداف التنمية الألفية في أفريقيا خلال عقد التسعينيات، وصادقت عليها جميع الدول الأعضاء في

الأمم المتحدة عام 2000، وتطرح الوثيقة جملة من المعايير المقبولة عالميًا، ويمكن من خلالها قياس مدى التقدم في تحقيق التنمية، ورغم ذلك؛ ما زالت أفريقيا تواجه تحديات كبيرة، وما زالت تحتل المرتبة الأخيرة في قائمة الدول النامية في العالم، وتظهر المؤشرات الاجتماعية تراجع معدلات التنمية الأفريقية في كثير من المجالات، ومعاناة ملايين الأفارقة في سبيل الحصول على لقمة العيش، وعلى الفرص المناسبة للتعليم والصحة، إضافة إلى معاناة ملايين الأطفال من سوء التغذية.

2. **أزمة الغذاء الحادة:**

عانت القارة الأفريقية كثيرًا ــ وما زالت ــ من الجوع والفقر وعلى مرأى ومسمع من الجميع، وأسباب ذلك متعددة، وأهمها القضاء على التوازن بين قطاع التصدير الزراعي وقطاع الإنتاج المحلي من خلال السياسات النيوليبرالية؛ التي أدت بدورها إلى قطاع إنتاج الغذاء المحلي، ما يعني خلق بيئة الفاقة والجوع والتبعية، هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى تسهم في استمرار المعاناة وتعميقها؛ منها: التغيرات المناخية المتقلبة، وقضايا الجفاف والتصحر، والتنافس على استغلال الموارد الطبيعية، ونقص الأيدي العاملة اللازمة لعمليات الإنتاج والتوزيع في القطاع الزراعي، وشح المياه، وارتفاع أسعار النفط.

3. **تسييس الانقسامات القبلية والعرقية:**

الصورة الذهنية السائدة تشير إلى أن القبلية والانقسامات العرقية في أفريقيا هي سبب الصراعات والحروب الأهلية، ولكن الحقيقة ليست في ذلك التنوع؛ بل في استغلاله بشكل خبيث من قبل القوى والكيانات الداخلية والخارجية التي ترى في وعي تلك القبائل وتوحدها خطرًا عليها وعلى مصالحها وأطماعها، بل إن العشائرية ــ إن أُحسن توجيهها ــ قد تمثِّل بديلًا صالحًا وناجحًا لإدارة الدولة وتحقيق التنمية؛ كما حصل في إقليم أرض الصومال الذي أعلن استقلاله من طرف واحد بعد انهيار الدولة الصومالية عام 1991.

4. **الانقسامات والصراعات الدينية:**

أضحت الصراعات الدينية من أبرز ملامح المشهد السياسي الأفريقي، والتي خلفت وراءها الكثير من الدمار والمعاناة، مع أن أفريقيا لم تعرف في تاريخها التقليدي حروبًا دينية على الإطلاق، ويرجع السبب ــ إذًا ــ في وجود تلك الصراعات إلى عوامل موروثة عن العهد الاستعماري، وأخرى مرتبطة بالسياق الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، والذي أوجدته تلك القوى والكيانات الداخلية والخارجية ذات المصالح الاقتصادية في المقام الأول.

5. **الصراعات والحروب الأهلية:**

تأثر الملايين بالنزاعات المسلحة، وأدى العنف إلى مشاكل إقليمية عديدة؛ أبرزها: قضايا اللاجئين، والنازحين، وانتشار تجارة الأسلحة عبر الحدود، وكان لهذا دوره السلبي على مؤسسات العمل الخيري والإغاثي، وذلك العنف المتمثل في النزاعات المسلحة وإن كان في الفترة الراهنة قد خفَّ تقريبًا في بعض البلدان الأفريقية؛ إلا أن آثاره ما زالت حاضرة، كما أن البيئة مؤاتية لتجدده في أي وقت وبأي صورة.

«وأمرٌ آخر يحدث من جرَّاء الحالة العامة المتمثلة في الضعف الأمني، وانتشار السلاح، وتفشي الجهل، وهو الخطر الذي يهدّد الناشطين في العمل الخيري، والذي يصل ــ أحيانًا ــ لاستهداف أرواحهم، كما حدث للداعيتين الكويتيين الدكتور وليد العلي وفهد الحسيني، واللذين استُشهدا في هجوم مسلح بمطعم في بوركينا فاسو عام 2017، وقُتِل في الهجوم 18 شخصًا، وأُصيب 22 أغلبهم من الأجانب، ومثل هذا أحداث أخرى مشابهة».

6. **تحديات التمويل، وسياسات تجفيف المنابع:**

عانت مؤسسات العمل الخيري الإسلامي منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث تم التضييق عليها أمنيًا؛ بادعاء تمويل الإرهاب، وأبرز الأدوات المستخدمة في ذلك: مراقبة التبرعات والتحويلات المالية الخاصة بالمؤسسات المالية، ومحاولة تصفية بعض المؤسسات الخيرية الناجحة بحجج باطلة أو واهية، بالإضافة إلى استخدام الحملات الدعائية عليها بين المجتمعات الأفريقية، رغم أن العمل الخيري الإسلامي أصبح أحد المكونات الرئيسة للعمل الطوعي غير الحكومي على الصعيد العالمي؛ للعديد من الاعتبارات.

7. **تسييس التدخل الإنساني الغربي:**

أصبح من المعروف تغليف الغرب أهدافه الحقيقية ــ وإن كانت غير معلنة ــ برداء إنساني عام، وتؤكد كثير من الأحداث التي حدثت في الواقع الأفريقي عدم براءة الأعمال الإنسانية الغربية في أغلبها.

8. **المساعدات الغذائية أداة للسيطرة والربح:**

هناك وجوه أخرى لبعض المساعدات الغربية لدول القرن الأفريقي؛ تتمثل في المكاسب المادية أو السياسية وما شابه، وتشكل أفريقيا سوقًا ضخمة لتجارة المساعدات الغذائية، حيث تحقق جميع الأطراف ربحًا معلومًا، بالإضافة إلى استخدام بعض القنوات تلك المساعدات لترويج أو نقل الحبوب والأغذية المهجّنة والمعدلة بالتكنولوجيا العضوية.

9. **ازدواجية المعايير في التعامل مع المنظمات الخيرية:**

للمنظمات المسيحية في القارة الأفريقية حضور كبير وفاعل، وكثير منها يقوم بالأعمال التنصيرية جنبًا إلى جنب مع الأعمال الإغاثية؛ سواء بشكل مُعلن أو خفي، حتى إن بعض تلك المنظمات تنص رؤيتها ورسالتها بوضوح على التنصير، وليس هذا هو الغريب في الحقيقة؛

وإنما كيفية التعامل مع تلك المنظمات مقابل التعامل مع المنظمات الخيرية الإسلامية، حيث يُسمح لتلك بما لا يُسمح لهذه، وهو ما يشكل تضييقًا واضحًا على المنظمات الخيرية الإسلامية؛ خصوصًا بعد أحداث 11 سبتمبر.

10. **التحديات الداخلية:**

هناك مجموعة من التحديات المرتبطة بطبيعة مؤسسات العمل الخيري الإسلامي ذاتها؛ أبرزها: كفاءة العمل المؤسسي، حيث ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمدى قدرة الجهة على اكتساب أهمية معتبرة في الواقع الذي تعمل فيه، وأي ضعف يعود إلى جانب من جوانب الكفاءة يؤثر بلا شك في ذلك الواقع، بالإضافة إلى ضعف التكيف لبعض المؤسسات؛ والمتمثل في عدم فهم الواقع الأفريقي بتعدديته وتناقضاته اللامتناهية.

ثالثًا: تفعيل العمل الخيري الإسلامي في أفريقيا:

مواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه مؤسسات العمل الخيري الإسلامي في الواقع الأفريقي؛ تتطلب وعيًا أكبر بمتغيرات العالم من حولنا؛ ما يعني ضرورة التحلي بالمرونة اللازمة للتكيف والتغيير، بهدف القيام بالدور المأمول، وفي هذا الإطار يلزم ما يلي:

1. **الشراكة مع المنظمات الوطنية والإقليمية والدولية:**

إذ لا بُدَّ من الانفتاح على المؤسسات الأخرى العاملة في نفس المجال؛ بهدف بناء جسور الثقة، وتبادل الخبرات، وتحقيق التعاون المشترك، ومنها المؤسسات الغربية ذات الطابع الإنساني العام، والإفادة منها بما يناسب توجه وقيم المؤسسات الإسلامية المتعاونة، وهذا ــ بشكل عام ــ مما يخفف الضغوط الدولية عليها، ويكسبها في ذات الوقت خبرات وممكنات إضافية.

2. **تطوير الأداء المؤسسي:**

في عصر الجودة وضمان التميز في الأداء؛ لا بُدّ لمؤسسات العمل الخيري الإسلامي من مواكبة العصر والتحديات التكنولوجية المتجددة، وذلك من خلال الآتي:

أ. تجنيد أصحاب المؤهلات العلمية والمواصفات المهنية للعمل في الكوادر الإدارية والإشرافية للمؤسسة.

ب. العمل على رفع الوعي وتنمية معارف العاملين بالمؤسسة؛ من خلال عقد الدورات التدريبية المتخصصة في مجال عملهم.

جـ. تحسين نوعية الخدمات والبرامج المقدمة في مجالات العون والإغاثة، ويتطلب ذلك أن تكون متوافقة مع متطلبات الواقع الأفريقي وظروفه.

د. العمل على خفض التكاليف، من خلال الدخول في بعض المشروعات الاستثمارية والإنتاجية التي تساعد على زيادة الموارد المالية للمؤسسة.

هـ. الاستفادة من تبادل الخبرات مع المؤسسات الأخرى الوطنية والأجنبية العاملة في نفس المجال.

3. **مراعاة السياق المجتمعي المتلقي للعمل الخيري:**

وذلك نظرًا لطبيعة المجتمع الأفريقي التعددية والمتشابكة، ومنها المدارس والطُرق الصوفية، والتي ارتبط بعضها بلحظات بطولية في حياة بعض المجتمعات، بل توجد لدى بعض القبائل عقائد مختلطة بالإسلام؛ مما يضفي على التطبيق الإسلامي بُعدًا محليًا تقليديًا، ويدفع إلى أهمية تدريب وتثقيف العاملين بمؤسسات العمل الخيري الإسلامي في أفريقيا.

4. **تحديد إستراتيجية الحركة أفقيًا ورأسيًا:**

من الأهمية بمكان؛ التخطيط والتحرك وفقًا لرؤى إستراتيجية مناسبة لوضع المجتمعات الافريقية المسلمة، ووفقًا لأنماط وأولويات مُتطلبة ومتباينة من حيث النوعية والإلحاح، تضع في الاعتبار المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة، وتلك التي تواجه تحديات من قبل المجتمعات المسيحية التي تعيش معها، وكذا الأخرى التي تشهد أقليات مسلمة نشطة.

5. **تطوير إستراتيجيات مؤسسات العمل الخيري الدعوي:**

ويتطلب ذلك وعيًا بحقيقة تعقد وتشابك خريطة الأديان والمعتقدات التقليدية في الواقع الأفريقي؛ مما يفرض ضرورة التعامل معه بأفضل الإمكانات المناسبة، وصولًا لتحقيق أفضل النتائج على المدى البعيد.

6. **التركيز على قطاع الأوقاف الإسلامية في العمل الخيري:**

الأوقاف الإسلامية في أفريقيا لعبت دورًا مهمًا في تدعيم أركان الإسلام، وخدمة أبنائه في جميع المجالات منذ عهد الممالك الإسلامية وإلى اليوم، ومنها المجالات الاقتصادية والتعليمية والصحية، ومن هنا يمكن إعادة إحياء دور الوقف الإسلامي وتوجيهه لقطاع التنمية؛ ويتطلب وعيًا بالأهمية الإستراتيجية الوقفية، والاستفادة من التجارب الناجحة للدول والمجتمعات الأخرى.

خاتمة:

وُصِفت أفريقيا بـ «قارة الإسلام»؛ كونه أكثر الأديان انتشارًا، وفيه وجدت المجتمعات الأفريقية صلاحيتها ومعالجة قضاياها وواقعها، وعلى الرغم من التحديات الكبيرة التي يواجهها هناك؛ فإنه لا يزال بإمكانه ممارسة دور ريادي في عملية النهضة والتطور للشعوب الأفريقية، من خلال طرح نموذج تنموي بديل، يعبّر عن واقع وطموحات الإنسان الأفريقي، خصوصًا في وجود مشروعات فكرية وإيديولوجية لا تزال تمثل خطرًا أساسيًا يواجه الزحف الإسلامي في أفريقيا؛ وعليه ينبغي على مؤسسات العمل الإسلامي الخيرية والدعوية تنسيق جهودها لمواجهة هذه الأخطار والتحديات.

توصيات المركز العالمي لدراسات العمل الخيري:

1. قيام مؤسسات العمل الخيري الإسلامي والدعوي المهتمة بالقارة الأفريقية بمراجعة أولوياتها وإستراتيجياتها هناك؛ بحيث تسهم بشكل فاعلٍ في تطور الإنسان الأفريقي واعتماده على نفسه.
2. ضرورة اهتمام المؤسسات الخيرية في القارة الأفريقية بالمشاريع والبرامج الإستراتيجية طويلة المدى؛ المستهدفة للتنمية.
3. ضرورة التنسيق الفاعل بين مختلف تلك المؤسسات، والتفاهم على خطط عمل إستراتيجية مشتركة.
4. أن تقوم مؤسسات العمل الخيري الإسلامي والدعوي بعقد ورش عمل مركزة، تهدف إلى مناقشة الأولويات والتحديات والحلول، وتضع أدلة ولوائح مشتركة تختص بالعمل الخيري هناك.
5. قيام المؤسسات الخيرية بعقد مؤتمر علمي خيري سنوي، يخص القارة الأفريقية، ويناقش أولويات العمل وضروراته وتحدياته أولًا بأول.
6. إنشاء مراكز بحثية لتحديد الاحتياجات والأولويات في جميع المجالات فيما يخص العمل الخيري والإنساني.
7. تقوية وبناء قدرات المنظمات المحلية الأفريقية، وتدريب العاملين فيها باستمرار؛ لضمان جودة الأداء، ومواكبة التطورات.
8. ضرورة اهتمام الجهات الخيرية والعاملين في مجال العمل الخيري بأخذ الاحتياطات اللازمة قبل سفرهم إلى أي بلد؛ ومن ذلك التنسيق المُسبق مع الجهات الحكومية في دولة الكويت وفي تلك البلدان المُستهدفة، وفي هذا الصدد الاستفادة من البرامج المُعدة لذلك؛ مثل: منظومة المسافر الآمن.

الـرؤيـة:

"مرجع عالمي في دراسات العمل الخيري والإنساني".

الرسالة:

"خدمة العمل الخيري والإنساني وتطويره من خلال البحوث والدراسات المتخصِّصة".

القيم:

الأهداف:

1. تطوير العمل الخيري والإنساني والارتقاء بمستوى الأداء والجودة في كافة مجالاته.
2. دعم صُنَّاع القرار من خلال توفير المعلومات المتعلقة بالعمل الخيري في الوقت المناسب.
3. نشر ثقافة العمل الخيري والتطوعي بين شرائح المجتمع كافة.
4. التأثير الإيجابي في الرأي العام لتعزيز مكانة العمل الخيري والإنساني ومنجزاته.
5. صناعة التكامل بين القطاع الخيري الإنساني وخُطط التنمية.
6. استشراف مستقبل العمل الخيري والإنساني بما يخدم المجتمعات.

من إصدارات المركز

لإصداراتنا امسح هنا

تسعدنا مشاركتك ..
وتصلنا مباشرة ..

1808 300
www.iico.org

GCPSIICO

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية
International Islamic Charity Organization

المركز العالمي لدراسات العمل الخيري
Global Center for Philanthropy Studies